



الدرااما فني موااجهة بمهور لا يرهم..

الدرااما العربية بين تفقيد
الشخصية وخط الجهور.

قراءة في تحولات الخطاب الفني المعاصر

ولاء عمران

مايو 2026م

تتناول الورقة تحولات الدراما العربية المعاصرة من خلال قراءة في خطابات
فنانين مصريين حول الشخصية المركبة، وضغط الجمهور، والتحويلات الإنتاجية،
وصعود المنصات الرقمية، وعلاقة الفن بالواقع، في ظل تغير مفهوم
النجومية وبنية السرد الدرامي داخل المشهد الثقافي العربي.

» هادر عن «

مؤسسة

اليوم alyoum8.net الامن

للإعلام والدراسات

لم تعد الدراما العربية، خلال السنوات الأخيرة، مجرد مساحة للترفيه أو إعادة إنتاج الحكايات التقليدية التي اعتاد عليها الجمهور لعقود طويلة، بل تحولت تدريجيًا إلى مساحة أوسع للتفاوض بين الفن والواقع، وبين الصناعة والجمهور، وبين تطورات السوق ومتطلبات التعبير الإنساني. ومع اتساع المنصات الرقمية وتغيّر أنماط التلقي، وجد الفنانون أنفسهم أمام مرحلة جديدة تتجاوز فكرة الأداء وحدها، لتشمل إعادة تعريف علاقتهم بالجمهور، وطبيعة الأدوار التي يقدمونها، وحتى شكل حضورهم داخل المجال العام.

هذا التحول لم يكن تقنيًا فقط، بل طال بنية الشخصية الدرامية نفسها. فالبطل المثالي الذي كان ينتصر دائمًا، ويحتفظ بصورة أخلاقية مستقرة، بدأ يتراجع تدريجيًا لصالح شخصيات أكثر تعقيدًا، تحمل تناقضات إنسانية واضحة، وتتحرك داخل مساحات رمادية لا يمكن اختزالها في الخير أو الشر. وفي الوقت نفسه، أصبح الجمهور أكثر حساسية تجاه التفاصيل، وأكثر قدرة على التأثير في مسار النجومية، سواء عبر التفاعل المباشر على المنصات الرقمية أو عبر إعادة تشكيل الذائقة العامة.

ضمن هذا السياق، تكشف مجموعة من الحوارات الفنية مع عدد من نجوم الدراما والغناء في مصر عن ملامح مرحلة جديدة تتشكل داخل المشهد الفني العربي، مرحلة تتداخل فيها أسئلة الفن مع أسئلة السوق، والهوية، والنجاح الجماهيري، والبحث عن الذات. فالفنان اليوم لم يعد يتحرك فقط داخل حدود الشخصية التي يؤديها، بل أصبح مطالبًا أيضًا بإدارة صورته العامة، والتفاعل مع جمهوره، والتعامل مع صناعة تتغير بوتيرة أسرع من أي وقت مضى.

في حديث الفنانة هند صبري عن تجربتها في مسلسل «مناعة»، يظهر بوضوح كيف أصبحت الشخصية المركبة مركزًا أساسيًا في الدراما الحديثة. فصبري لا تتعامل مع الدور بوصفه مجرد حضور بطولي تقليدي، بل باعتباره مساحة لاكتشاف التناقض الإنساني. وهي ترى أن الجمهور لم يعد معنيًا بالشخصيات الكاملة أو المثالية، بل بالشخصيات التي تعكس هشاشة البشر وصراعاتهم اليومية.

هذا التحول في طبيعة الشخصية الدرامية يكشف عن تطور أعمق في وعي الصناعة نفسها. فالأعمال التي تقوم على نموذج البطل الخارق أو النموذج الأخلاقي المغلق لم تعد قادرة وحدها على خلق التأثير القديم ذاته، خصوصًا مع ارتفاع وعي الجمهور وتعدد مصادر المشاهدة. لذلك باتت الشخصيات التي تجمع بين الخير والشر، والطموح والخوف، والضعف والقوة، أكثر قدرة على البقاء داخل الذاكرة الجماعية.

وتوضح صبري أن انجذابها لشخصية «غرام» جاء تحديدًا من هذه المنطقة المركبة، إذ لا يمكن اختزال الشخصية في توصيف أخلاقي واحد. فهي شخصية تحمل دوافع متناقضة، وتتحرك داخل عالم قاسٍ يفرض عليها خيارات صعبة. وهنا تبرز إحدى السمات الأهم في الدراما العربية الجديدة: محاولة فهم الإنسان بدلًا من إصدار الأحكام عليه.

هذا الميل إلى التعقيد لا ينفصل عن التحولات الاجتماعية والثقافية الأوسع. فالمجتمعات العربية نفسها باتت أكثر انفتاحًا على مناقشة الأسئلة المتعلقة بالهوية الفردية، والضغط الاجتماعي، والصراعات النفسية. ومن الطبيعي أن تنعكس هذه التحولات على الفن، بوصفه مرآة حساسة للتغيرات العميقة داخل المجتمع.

وفي الوقت نفسه، تكشف تجربة «مناعة» عن حضور واضح للحنين البصري والزمني داخل الدراما العربية الحديثة. فالعودة إلى فترة الثمانينيات لم تكن مجرد اختيار جمالي، بل محاولة لاستعادة عالم بصري وثقافي يحمل دلالات خاصة لدى الجمهور. الموسيقى، والملابس، وطبيعة العلاقات الاجتماعية، وحتى إيقاع الحياة اليومية، جميعها تحولت إلى عناصر درامية تستدعي ذاكرة جماعية كاملة.

هذا الحنين لا يقتصر على «مناعة» وحده، بل أصبح ملمحًا واسع الانتشار في عدد كبير من الأعمال العربية خلال السنوات الأخيرة. وكأن الصناعة، في لحظة التحول السريع نحو العالم الرقمي، تبحث في الماضي عن نوع من الاستقرار العاطفي أو الهوية البصرية المفقودة.

وتشير هند صبري إلى أن إعادة بناء هذه المرحلة الزمنية تطلبت جهدًا إنتاجيًا كبيرًا، لأن العمل في زمن قديم لا يسمح باستخدام أي عنصر معاصر بشكل عشوائي. وهنا يظهر جانب آخر من تحولات الصناعة، يتمثل في ارتفاع مستوى العناية بالتفاصيل البصرية والتاريخية، نتيجة ازدياد وعي الجمهور وقدرته على ملاحظة الأخطاء.

الأمر ذاته يتكرر بصورة مختلفة في تجربة الفنان أحمد أمين مع الجزء الثاني من مسلسل «النص». فحديثه عن العمل يكشف عن وعي واضح بأن تقديم جزء جديد من أي عمل لم يعد قرارًا تجاريًا بسيطًا، بل يحتاج إلى مبرر فني حقيقي. وهو يرفض فكرة إنتاج أجزاء جديدة استجابة فقط لضغط الجمهور أو نجاح الجزء الأول، مؤكدًا أن أي امتداد للعمل يجب أن

يحمل إضافة حقيقية على مستوى الفكرة أو البناء الدرامي.

هذا التصور يعكس تغيراً مهماً في العلاقة بين الفنان والجمهور. ففي السابق، كانت النجومية تُفاس غالباً بحجم الانتشار أو الإيرادات، أما اليوم فأصبح الحفاظ على المصداقية الفنية جزءاً أساسياً من معادلة النجاح. والجمهور نفسه بات أكثر قدرة على التمييز بين الأعمال التي تُنتج بدافع فني، وتلك التي تُستثمر تجارياً فقط.

كما أن حديث أحمد أمين عن التحديات المرتبطة بالعمل في زمن تاريخي يعيد التأكيد على التحول الإنتاجي الذي تشهده الدراما العربية. فالعمل الذي تدور أحداثه في زمن قديم يتطلب جهداً مضاعفاً على مستوى الملابس والديكور والإكسسوارات وطريقة الكلام وحتى حركة الشخصيات. ولم يعد ممكناً الاكتفاء بحلول إنتاجية بسيطة، لأن الجمهور الحالي يمتلك أدوات واسعة للمقارنة والتدقيق.

لكن الأهم في تجربة أحمد أمين ربما يتمثل في اهتمامه بفكرة "الإنسان العادي داخل اللحظة التاريخية". فبدلاً من التركيز على الشخصيات الخارقة أو الأبطال الاستثنائيين، يقترب العمل من الإنسان البسيط الذي يجد نفسه فجأة داخل تحولات كبرى تتجاوز قدرته على الفهم أو السيطرة.

وهذه الفكرة تحديداً تكشف عن أحد أهم تحولات الدراما الحديثة: الانتقال من البطولة المطلقة إلى البطولة الإنسانية. فالبطل لم يعد ذلك الشخص القادر على تغيير العالم وحده، بل إنساناً مرتبكاً يحاول النجاة وسط عالم متغير.

وفي جانب آخر من المشهد، تقدم الفنانة يارا السكري نموذجاً مختلفاً يعكس طبيعة الجيل الجديد داخل الوسط الفني. فدخلها إلى التمثيل جاء عبر الصدفة، ثم تحول تدريجياً إلى مشروع مهني حقيقي. وهذه الفكرة تكشف كيف تغيرت طرق صناعة النجوم في العصر الحالي.

في السابق، كان الطريق إلى النجومية يمر غالباً عبر المؤسسات الفنية التقليدية، أو عبر سنوات طويلة من التدريب والتدرج. أما اليوم، فقد أصبحت المنصات الرقمية، وردود الفعل السريعة، والعلاقات المهنية، عوامل قادرة على دفع وجوه جديدة إلى الواجهة خلال فترة قصيرة.

لكن هذا الصعود السريع يضع الفنان الشاب أيضاً أمام تحديات معقدة. فالجمهور الذي يمنح الشهرة بسرعة، يستطيع كذلك أن يسحبها بسرعة مماثلة. لذلك تبدو مسألة بناء الهوية الفنية أكثر صعوبة من مجرد تحقيق الانتشار.

وتكشف يارا السكري عن وعي واضح بهذه المعادلة حين تؤكد أنها تبحث عن الأدوار التي تضيف إلى مسيرتها، لا مجرد الظهور المتكرر. وهي ترى أن الجمهور يمثل "الترمومتر الحقيقي" لقياس نجاح أي عمل، لكنها في الوقت نفسه تحاول الحفاظ على مساحة من الاختيار الشخصي بعيداً عن الاستجابة الكاملة للضغوط الجماهيرية.

كما أن حديثها عن رغبتها في تقديم شخصيات متنوعة، من الفتاة الشعبية إلى الشخصية الصعبة وحتى الأدوار التاريخية، يكشف عن محاولة واضحة للخروج من أسر الشكل الخارجي أو الصورة النمطية. فالفنانة الشابة تدرك أن البقاء في مساحة واحدة قد يحقق نجاحاً مؤقتاً، لكنه يهدد الاستمرارية على المدى البعيد.

وفي هذا الإطار، تبدو إشارتها إلى طموحها لتجسيد شخصية كليبواترا ذات دلالة خاصة. فالأمر لا يتعلق فقط بحلم فني، بل برغبة في الانتقال من مساحة الأدوار التقليدية إلى الشخصيات التاريخية المعقدة التي تتطلب بحثاً وتحضيراً وقدرة على الأداء المركب.

ومن زاوية مختلفة، تكشف تجربة الفنانة رنا سماحة عن أزمة أخرى يعيشها الوسط الفني العربي، تتعلق بالتحولات الإنتاجية وصعوبة الاستمرار داخل سوق سريع التغير. فرغم تعدد مواهبها بين الغناء والتمثيل والتقديم، فإن حديثها يحمل قدراً واضحاً من القلق تجاه واقع جيلها الفني.

تتحدث سماحة بصراحة عن تراجع الدعم الإنتاجي، واضطرار كثير من الفنانين إلى الاعتماد على جهودهم الذاتية في تمويل أعمالهم. وهذه الملاحظة تعكس واحدة من أهم أزمت الصناعة الفنية العربية اليوم. فمع تغير السوق، وصعود المنصات الرقمية، وتراجع النموذج التقليدي لشركات الإنتاج الكبرى، أصبح الفنان مطالباً ليس فقط بالإبداع، بل أيضاً بإدارة مشروعه الفني بنفسه.

هذا التحول أوجد نوعاً جديداً من الفنانين، يجمع بين الحس الإبداعي والقدرة على إدارة الحضور الإعلامي والتسويق والعلاقات المهنية. وهو ما يفسر لماذا أصبحت الاستمرارية أكثر صعوبة، حتى بالنسبة للفنانين الذين يمتلكون الموهبة.

وفي الوقت ذاته، يكشف حديث رنا سماحة عن تغير واضح في طبيعة الإنتاج الغنائي. فبدلاً من الألبومات الكاملة التي كانت تهيمن على السوق لعقود، أصبحت الأغاني المنفردة "السينغل" هي الخيار الأكثر انتشاراً. وهذا التحول لا يتعلق فقط بالجوانب الاقتصادية، بل أيضاً بتغير طريقة استهلاك الجمهور للموسيقى.

فالملتقي الحالي يعيش داخل إيقاع سريع، ويستهلك المحتوى الفني عبر المنصات الرقمية بصورة متقطعة ومتسارعة. لذلك أصبحت الأغنية القصيرة أو المنفردة أكثر قدرة على الانتشار مقارنة بالألبومات الطويلة التي تحتاج إلى وقت وتركيز.

لكن اللافت أن رنا سماحة، رغم إدراكها لهذه التحولات، لا تزال تنظر إلى الغناء بوصفه "رهانها الأول"، وكأنها تحاول التمسك بجوهر التجربة الفنية وسط عالم سريع التغير.

وفي خلفية كل هذه التجارب، يظهر سؤال الجمهور بوصفه أحد أكثر الأسئلة حضوراً داخل المشهد الفني المعاصر. فالفنان اليوم يعمل تحت رقابة لحظية ودائمة. كل تصريح، وكل مشهد، وكل ظهور، يصبح مادة للنقاش والتقييم وربما للهجوم أيضاً.

وهذا ما يجعل العلاقة بين الفنان والجمهور أكثر تعقيداً من أي وقت مضى. فالجمهور لم يعد مجرد متلقٍ سلبي، بل تحول إلى شريك مباشر في صناعة النجاح أو الفشل. والمنصات الرقمية منحت هذا الجمهور سلطة ضخمة لم تكن متاحة سابقاً.

لكن هذه العلاقة لا تخلو من التوتر. فالفنان يحتاج إلى الحفاظ على حرته الإبداعية، بينما يسعى الجمهور أحياناً إلى فرض توقعاته الخاصة على الأعمال والشخصيات. وهنا تظهر أهمية التوازن الذي تحدث عنه أكثر من فنان، بين الاستماع إلى الجمهور والحفاظ على المشروع الفني الشخصي.

ومن اللافت أيضاً أن معظم الفنانين الذين تعكسهم هذه الحوارات يتحدثون عن "الصدق" بوصفه قيمة أساسية في العمل الفني. سواء لدى هند صبري في بحثها عن الشخصيات المركبة، أو لدى أحمد أمين في رفضه تكرار الأفكار دون مبرر، أو لدى يارا السكري في حرصها على اختيار الأدوار المختلفة، أو لدى رنا سماحة في تمسكها بالغناء رغم صعوبات السوق.

وهذا التكرار لفكرة الصدق الفني ربما يعكس شعوراً عاماً داخل الوسط بأن الجمهور بات أكثر حساسية تجاه الزيف أو التكرار أو الاستسهال. فالملتقي الحالي يمتلك خيارات هائلة، ولم يعد مضطراً لمتابعة العمل الفني بدافع الندرة كما كان يحدث سابقاً.

كما تكشف هذه الحوارات عن تحولات مهمة في مفهوم النجومية ذاته. فالنجومية اليوم لم تعد تقوم فقط على الكاريزما أو الحضور التقليدي، بل على القدرة على التطور المستمر، وإعادة اكتشاف الذات، والتفاعل الذكي مع المتغيرات.

وفي هذا السياق، يبدو واضحاً أن الفنان العربي المعاصر يعيش داخل معادلة معقدة: فهو مطالب بإرضاء جمهور سريع التغير، والحفاظ على حضوره داخل سوق تنافسية، وفي الوقت نفسه تقديم أعمال تمتلك قيمة فنية حقيقية.

وربما لهذا السبب تحديداً أصبحت الشخصيات المركبة، والزمن التاريخي، والحنين البصري، والبحث عن الإنسان العادي، عناصر متكررة داخل الدراما الحديثة. فالفن، في النهاية، يحاول أن يجد معنى وسط عالم متسارع ومضطرب.

إن التحولات التي تشهدها الدراما العربية اليوم لا يمكن النظر إليها بوصفها مجرد تغيرات شكلية أو تقنية، بل هي انعكاس لتحولات أعمق داخل المجتمع العربي نفسه. فطريقة بناء الشخصيات، وطبيعة العلاقة مع الجمهور، وأشكال الإنتاج الجديدة، جميعها تكشف عن انتقال تدريجي من مرحلة الفن الجماهيري التقليدي إلى مرحلة أكثر تعقيداً وتعدداً.

وفي هذا الانتقال، يبدو أن الفنان العربي لم يعد مجرد مؤدٍ للأدوار، بل أصبح طرفاً في نقاش ثقافي أوسع يتعلق بالهوية، والواقع، والذاكرة، والتحول الاجتماعي. لذلك فإن قراءة هذه التجارب الفنية لا تقتصر على بعدها الترفيهي، بل تفتح الباب لفهم أعمق للتغيرات التي يعيشها المجتمع العربي في لحظته الراهنة.

وربما تكمن أهمية هذه المرحلة تحديداً في أنها لا تقدم إجابات نهائية، بل تطرح أسئلة جديدة باستمرار: ما الذي يريده الجمهور فعلاً؟ وهل تستطيع الدراما الحفاظ على بعدها الإنساني وسط ضغوط السوق والمنصات الرقمية؟ وكيف يمكن للفنان أن يوازن بين النجاح الجماهيري والبحث الفني الحقيقي؟

هذه الأسئلة تظل مفتوحة، لكن المؤكد أن الدراما العربية دخلت بالفعل مرحلة جديدة، مرحلة لم يعد فيها البطل كاملاً، ولا الجمهور صامتاً، ولا الفن منفصلاً عن تحولات الواقع.

مؤسسة

اليوم الثامن

a.youm8.net

للإعلام والدراسات

مؤسسة اليوم الثامن للإعلام والدراسات هي مؤسسة إعلامية وبحثية مستقلة، تأسست وفق أحكام قانون الجمعيات والمؤسسات الأهلية رقم (1) لعام 2001م ولائحته التنفيذية الصادرة بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم (129) لعام 2004م. تتمتع المؤسسة بالشخصية الاعتبارية والذمة المالية المستقلة، وتعمل في مجالات الإعلام، التنمية، الشؤون الاجتماعية، والإنسانية، دون استهداف الربح التجاري. - تحمل المؤسسة ترخيص رقم (0693) صادر عن مكتب الشؤون الاجتماعية في عدن. تاريخ التأسيس: 13 أكتوبر 2016م. تسعى المؤسسة منذ نشأتها إلى تقديم تغطية شاملة للأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع التركيز على إعداد بحوث ودراسات معمقة حول قضايا الصراع في الشرق الأوسط والقرن الأفريقي المطلين على البحر الأحمر، ومضيق باب المندب، وخليج عدن.

